

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القمر مكية

أَقْرَبَتْ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ﴿١﴾.

انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته. السيرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر مرتين^(٥). وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. قال ابن عباس: انفلق فلقتين فلقة ذهب، وفلقة بقيت^(٦). وقال ابن مسعود: رأيت حراء بين فلقتي القمر^(٧). وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة. وقوله:

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيُقُولُوا يَبْحَثُ مِثْرًا ﴿٢﴾.

﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا يبحث مِثْرًا﴾ يرده وكفى به راء، وفي قراءة حنيفة: وقد انشق القمر أي: اقتربت الساعة. وقد حصل من آيات اقتربها أن القمر قد انشق كما تقول: أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدمه. وعن حنيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: إلا إن الساعة قد افتقرت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم^(٨). مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله. قيل فيه قد استمر لما راوا تتابع المعجزات وترانف الآيات. قالوا: هذا سحر مستمر وقيل: مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريده. وقيل: هو من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته أي: مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر الممقر. وقيل: مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلًا. وقرئ: وإن يروا.

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾.

﴿واتبعوا أهواءهم﴾ وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره. ﴿وكل أمر مستقر﴾ أي: كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها. وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل، وسيظهر لهم عاقبته. أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر. أي: سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة. وقرئ: بفتح القاف يعني: كل أمر ذو

لرسول الله ﷺ أو للإنسان على الإطلاق، وقد عدد نعمًا ونعمًا وسماها كلها آلاء من قبل ما في نومه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين.

مَدَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾.

﴿هذا﴾ القرآن ﴿نذير من النذر الأولى﴾ أي: إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي أنذر بها من قبلكم، أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأولين. وقال: الأولى على تأويل الجماعة.

أُرِنَتْ الْأَرْفَةُ ﴿٥﴾.

﴿أرنت الأرفة﴾ قربت الموصوفة بالقرب. في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾^(١) ﴿ليس لها﴾ نفس.

لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ ﴿٦﴾.

﴿كاشفة﴾ أي: مبينة متى تقوم كقوله تعالى: ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾^(٢) وليس لها نفس كاشفة أي: قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله، غير أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير. وقيل: الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية. وقرأ طلحة: ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية.

أَلَمْ يَأْنِ هَذَا لِلْمُؤْمِنِينَ تَجَوُّبٌ ﴿٧﴾.

﴿أفمن هذا الحديث﴾ وهو القرآن ﴿تعجبون﴾ إنكارًا.

وَتَزَكَّرُونَ وَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾.

﴿وتضحكون﴾ استهزاء ﴿ولا تبكون﴾ والبكاء والخشوع حق عليكم. وعن رسول الله ﷺ أنه لم ير ضاحكًا بعد نزولها^(٣). وقرئ: تعجبون تضحكون بغير واو. وَأَنْتُمْ سِيدُونَ ﴿٩﴾.

﴿وانتم سامدون﴾ شامخون مبترمون. وقيل: لاهون لابعون وقال بعضهم لجاريتته: اسمدي لنا أي: غني لنا.

فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿١٠﴾.

﴿فأسجدوا لله واعبدوا﴾ ولا تعبدوا الآلهة. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ووجد به بمكة»^(٤).

= اقتربت الساعة (الحديث رقم: 4868)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب: انشقاق القمر (الحديث رقم: 43 - 2800).

(7) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة اقتربت الساعة باب «وانشق القمر» (الحديث رقم: 4864، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب: انشقاق القمر (الحديث رقم: 45 - 2801) والحاكم في المستدرک 2/471.

(8) أخرجه الحاكم في المستدرک 4/609.

(1) سورة القمر، الآية: 1.

(2) سورة الأعراف، الآية: 187.

(3) الثعلبي وابن مردويه في التفسير زيلعي 3/385.

(4) الثعلبي ابن مردويه الواقدي في تفسيرهم زيلعي 3/386.

(5) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة انشققت اقتربت الساعة باب: «وانشق القمر» (الحديث رقم: 4867)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (الحديث رقم: 46 - 2802).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب: سورة =

الليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما. وقرئ: يخرجون من الأجداث من القبور ﴿كانهم جراد منتشر﴾ الجراد مثل في الكثرة والتموج. يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاؤوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرة.

مُهَيِّبِينَ إِلَى الدَّاعِ بِقَوْلِ الكَافِرِينَ هَذَا يَوْمَ عَرَسِ ﴿٨﴾

﴿مهطعين إلى الداعي﴾ مسرعين مادي أعناقهم إليه. وقيل: ناظرين إليه لا يقعون بأبصارهم قال:

تعبني نمرين سعد وقد أرى ونمرين سعد لي مطيع ومهطع
كذبت قلبهم قوم نوح كذبوا عبداً وقالوا مجنوناً وأزجراً ﴿٩﴾

﴿قبلهم﴾ قبل أهل مكة ﴿فكنبوا عبداً﴾ يعني: نوحاً.

فإن قلنت: ما معنى قوله تعالى: ﴿فكنبوا﴾ بعد قوله: كذبت؟ قلنت: معناه كذبوا عبداً أي: كذبوه تكنيهاً على عقب تكذيب. كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو كذبت قوم نوح (2) الرسل فكنبوا عبداً. أي: لما كانوا مكذبين بالرسول جاحدين للنبوّة رأساً كذبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل. ﴿مجنون﴾ هو مجنون ﴿ووازجر﴾ وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد. وبالرجم في قولهم: لتكونن من المرجومين. وقيل: هو من جملة قبلهم. أي: قالوا: هو مجنون وقد أزجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه.

فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَلُوتٌ فَاتَّصِرْ ﴿١٠﴾

قرئ: ﴿أنتي﴾ بمعنى: فدعا بأني مغلوب وإني على إرادة القول. فدعا فقال: إني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحکم الياس من إجابتهم لي. ﴿فانتصر﴾ فانتقم منهم بعذاب تبعته عليهم، وإنما دعا بذلك بعد ما طم عليه الأمر وبلغ السيل الزبا. فقد روي أنّ الواحد من أمته كان يلقاه فيخفته حتى يخر مغشياً عليه، فيفيق وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

فَنَحْنُ أَوْبَ السَّاءِ بِمَا نُنْهَرِ ﴿١١﴾

وقرئ: ﴿ففتحننا﴾ مخففاً ومشدداً. وكذلك فجرنا. ﴿منهم﴾ منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوماً.

رَبَّرْنَا الْأَرْضَ عِيونًا فَالْقَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدٍ قُورَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَّجِ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾

﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها

مستقر أي: ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار. وعن أبي جعفر: مستقر بكسر القاف والجرّ عطفاً على الساعة. أي: اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله.

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿١٤﴾

﴿من الآباء﴾ من القرآن المودع أبناء القرون الخالية وأبناء الآخرة، وما وصف من عذاب الكفار ﴿مزنجر﴾ أزنجار أو موضع ازنجار والمعنى هو في نفسه موضع الازنجار ومظنة له. كقوله تعالى: ﴿لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (1) أي: هو أسوة. وقرئ: مزنجر بقلب تاء الافتعال زايًا وإدغام الزاي فيها.

حِصَّةً بِلَيْلَةٍ فَمَا تُنِ الْأُنْدُرِ ﴿١٥﴾

﴿حكمة بالغة﴾ بدل من ما أو على هو حكمة، وقرئ: بالنصب حالاً من ما.

فإن قلنت: إن كانت موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة حالاً، فكيف تعمل إن كانت موصوفة وهو الظاهر؟ قلنت: تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها ﴿فما تغني النذر﴾ نفي أو إنكار وما منصوبة أي: فاي غناء تغني النذر.

فَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ تُكْرِرِ ﴿١٦﴾

﴿فقتل عنهم﴾ لعلكم أن الإنذار لا يغني فيهم. نصب ﴿يوم يدع الداع﴾ يخرجون أو بإضمار انكر وقرئ: بإسقاط الياء اكتفاء بالكسر عنها، والداعي إسرافيل أو جبريل. كقوله تعالى: ﴿يوم يناد المناد﴾ ﴿إلى شيء نكر﴾ منكر فطيغ تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة. وقرئ: نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر.

حُتْمًا أَيْصُرُّهُمْ جَبْرُونَ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتَسِيرٌ ﴿١٧﴾

﴿خشنفاً أبصارهم﴾ حال من الخارجين فعل للأبصار ونكر. كما تقول: يخشع أبصارهم. وقرئ: خاشعاً على تخشع أبصارهم وخشعاً على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول: أكلوني البراغيث وهم طيء، ويجوز أن يكون في خشعاً ضميرهم وتقع أبصارهم بدلاً عنه، وقرئ: خشع أبصارهم على الابتداء والخبر، ومحل الجملة النصب على الحال. كقوله:

وجدته حاضراه الجود والكرم

وخشوع الأبصار كناية عن الذلّة والانخزال لأن ذلّة

(1) سورة الأحزاب، الآية: 21.

= كقوله في هذه السورة ﴿فتعاطى فعقر﴾ فإن تعاطيه هو نفس عقره، ولكن نكره من جهة عمومه ثم من ناحية خصوصه إسهاباً، وهو بمثابة نكره مرتين، وجواب آخر هنا، وهو أن المكذب أولاً محنوف دل عليه نكر نوح، فكانه قال: كذبت قوم نوح نوحاً، ثم جاء بتكذيبهم ثانياً مضاعفاً إلى قوله: عبداً، فوصف نوحاً بخصوص اللعوبية، وأضافه إليه إضافة تشريف، فالتكذيب المخبر عنه ثانياً أبشع عليهم من المذكور أولاً لتلك اللعنة، والله أعلم.

(2) قال أحمد: قد تقدم كلامه على قوله تعالى: ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما أتيناهم فكنبوا رسلي﴾ وأجاب عنه بجوابين، أحدهما: متعذر هنا، والآخر: ممكن، وهو أن ذلك كقول القائل: أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام، وقد مضى لي جوابان: أحدهما: يمكن إجراؤه هنا، وحاصله منع روي السؤال؛ لأنّ الأول مطلق والثاني مقيد، فليس تكراراً وهو =

وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْفُرْقَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي: سهلناه للإدراك والاعتاط بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرنا فيه من الوعد والوعيد. ﴿فهل من﴾ متعظ؟ وقيل: ولقد سهلناه للحفظ واعناً عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه والجمه، قال:

وقمت إليه باللباس ميسراً هنالك يجزيني الذي كنت أصنع
ويروي أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل
لا يتلوها أهلها إلا نظراً ولا يحفظونها ظاهراً كما القرآن.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُدِّرِ ﴿٨﴾

﴿ونذر﴾ وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أو إنذار أتى في تعذيبهم لمن بعدهم.

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا مَرَصْرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿٩﴾

﴿في يوم نحس﴾ في يوم شؤم وقرئ: في يوم نحس. كقوله: في أيام نحسات ﴿مستمر﴾ قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعاً كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة. وكان في أربعة في آخر الشهر لا تنور، ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة.

نَزَحَ النَّاسُ عَنْهُمْ هَمْزًا نَحَلٍ تُنْفِرُ ﴿١٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُدِّرِ ﴿١١﴾
وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْفُرْقَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ ﴿١٣﴾

﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبههم وتلق رقابهم ﴿كانهم أعجاز نخل منقعر﴾ يعني: إنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتاً وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل، وهي أصولها بلا فروع. منقعر منقلع عن مغارسه. وقيل: شبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقي أجساداً بلا رؤوس، وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانت كما قال: ﴿ععجاز نخل خاوية﴾.

فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا رَحِمْنَا رَبَّنَا إِنَّا إِذَا لَبِئْنَا سَمَكًا لِيَصُدَّ عَنْهُ ﴿١٤﴾

﴿أبشراً منا واحداً﴾ نصب بفعل مضمر يفسره ﴿تتبعه﴾ وقرئ: أبشراً منا واحد على الابتداء وتتبعه خبره والأول أوجه للاستفهام. كان يقول إن لم تتبعوني

عيون تتفجر، وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض، ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيباً. ﴿فالتقى الماء﴾ يعني: مياه السماء والأرض. وقرئ: المآن أي: النوعان من الماء السماوي والأرضي ونحوه قولك: عندي تمران. تريد ضربان من التمر برني ومعقلي. قال لنا: إبلان فيهما ما علمتم. وقرأ الحسن: الماوان بقلب الهمزة وأوا كقولهم: علباوان ﴿على أمر قد قدر﴾ على حال قدرها الله كيف شاء. وقيل: على حال جاءت مقنرة مستوية، وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء. وقيل: على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.

﴿على ذات ألواح ودسر﴾ أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنبأ منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه: ولكن قميصي مسرودة من جديد. أراد ولكن قميصي درع وكذلك: ولو في عيون النازيات باكرع؛ أراد ولو في عيون الجراد، ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح. وهذا من فصيح الكلام وبديعه. والدسر: جمع سسار وهو المسمار، فعال من سسره إذا دفعه لأنه يسر به منفذه.

تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿١٥﴾

﴿جزاء﴾ مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي: فعلنا ذلك جزاء ﴿لمن كان كفراً﴾ وهو نوح عليه السلام وجعله مكفوراً لأن النبي نعمة من الله ورحمة. قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (1) فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى أن رجلاً قال للرشيد: الحمد لله عليك، فقال: ما معنى هذا الكلام؟ قال: أنت نعمة حمدت الله عليها. ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل. وقرأ قتادة: كفر أي: جزاء للكافرين. وقرأ الحسن: جزاء بالكسر أي: مجازاة. الضمير في.

وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٦﴾

﴿تركناها﴾ للسفينة أو للفعلة أي: جعلناها آية يعتبر بها. وعن قتادة: أبقاها الله بأرض الجزيرة. وقيل: على الجودي دهرًا طويلاً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. والمدكر المعتبر. وقرئ: منكر على الأصل، ومنكر بقلب التاء ذالاً وإدغام الذال فيها وهذا نحو منجر.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ ﴿١٧﴾

والنذر جمع نذير وهو الإنذار.

الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي ﴿٣٣﴾

﴿صيحة واحدة﴾ صيحة جبريل، والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر. والمحتظر الذي يعمل الحظيرة، وما يحتظر به يبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم. وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة.

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا نَالَ لُوطٌ بِمَجْنَنِهِمْ سِحْرًا ﴿٣٤﴾

﴿حاصبًا﴾ ريحًا تحصبهم بالحجارة أي: ترميهم ﴿بسحراً﴾ بقطع من الليل وهو السدس الأخير منه. وقيل: هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر، والآخر عند انصداعه. وأنشد:

مرت بأعلى السحرين تدا

وصرف لأنه نكرة. ويقال: لقيته سحر إذا لقيته في سحر يومه.

يَمَّةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ تَجْرَىٰ مِنْ شُكْرِ ﴿٣٥﴾

﴿نعمة﴾ إنعامًا مفعول له ﴿من شكر﴾ نعمة الله بإيمانه وطاعته.

وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَلَغْنَاكَ نَكَارًا بِالَّذِي ﴿٣٦﴾

﴿ولقد أنذرهم﴾ لوط عليه السلام ﴿ببطشتنا﴾ أختنا بالعذاب ﴿فقتلوا﴾ فكتبوا ﴿بالنذر﴾ متشاكين.

وَلَقَدْ زُودُوا عَنْ سَبِيلِهِمْ فَسَخَّطْنَا لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنزَلْنَا ﴿٣٧﴾

﴿فطمسنا أعينهم﴾ فسخناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق. روي أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام لينخلوا قالت الملائكة: خلمهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترنسون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط ﴿فذوقوا﴾ فقلت لهم: نوقوا على السنة الملائكة.

وَلَقَدْ سَبَّهْمُ بَكْرَةَ عَدَايَ مُسَوِّرًا ﴿٣٨﴾ فذوقوا عَذَابِي وَذُرِّيَّتِي ﴿٣٩﴾
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ نَالَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤١﴾

﴿بكرة﴾ أول النهار وباركه كقوله: مشرقين ومصبحين. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما: بكرة غير منصرفة. تقول أثبتة بكرة وغدوة بالتونين إذا أردت التذكير وبغيره إذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته. ﴿عذاب مسقرر﴾ ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة.

فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله: ﴿فذوقوا عذابي ونذر لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾؟ قلت: فائدته أن يجذبا عند استماع كل نبي من أنبياء الأولين إنكارًا واتعاطًا وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظًا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعق لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة. وهكذا

كنتم في ضلال عن الحق. وسعر ونيران جمع سعيير فعكسوا عليه فقالوا: إن اتبعناك كنا إن كما تقول. وقيل: الضلال الخطأ والبعد عن الصواب، والسعر الجنون. يقال: ناقة مسعورة. قال:

كان بها سعيراً إذا العيس هزما نميل وإرخاء من السير متعب

فإن قلت: كيف أنكروا أن يتبعوا بشرًا منهم واحدًا؟ قلت: قالوا أبشراً؟ إنكاراً لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة. وقالوا: منا. لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى. وقالوا: واحدًا. إنكاراً لأن تتبع الأمة رجلاً واحدًا، أو أراوا واحدًا من أفتائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم:

أَتَأْتِي أَيْدِيَّ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿٤٢﴾

﴿القي الذكر عليه من بيننا﴾ أي: أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة ﴿أشراً﴾ بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبة التعظم على ادعاء ذلك.

سَيَمْلِكُونَ عَذَابِي الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ ﴿٤٣﴾

﴿سيعلمون عذابي﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ﴿من الكذاب الأشير﴾ أصلح أم من كذبه. وقرئ: ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيباً لهم، أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات. وقرئ: الأشير بضم الشين. كقولهم: حدث وحذر وحذر، وأخوات لها. وقرئ: الأشير: وهو الأبلغ في الشرارة والأخير. والأشير أصل قوتهم: هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض. وقد حكى ابن الأنباري قول العرب: هو أخير وأشير، وما أخيره وما أشره.

إِنَّا مَرَرْنَا بِالطَّاغُوتِ وَنَبَّأْنَاهُمْ فَأَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِيْنَهُمْ وَأَمْطَرْنَا ﴿٤٤﴾

﴿مرسلوا الناقة﴾ باعوثها ومخرجوها من الهضبة كما سالوا ﴿فتنته لهم﴾ امتحاناً لهم وابتلاء. ﴿فارتقبهم﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿وواصطبر﴾ على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري.

وَيَنْبِئُهُنَّ الْمَاءَ وَنَمَّاءُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ﴿٤٥﴾

﴿قسمة بينهم﴾ مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم، وإنما قال: بينهم، تغليبا للعقلاء. ﴿مخضض﴾ محضور لهم أو للناقة. وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها.

فَأَدْرَأْنَا مَاجِغَهُمُ الْفِجَارَ ﴿٤٦﴾ نَكَفَّ كَانَ عَدَابِي وَذُرِّيَّتِي ﴿٤٧﴾

﴿صاحبهم﴾ قدار بن سالف أحيمر ثمود ﴿فتعاطى﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر التعظيم غير مكترث له. فأحدث العقر بالناقة. وقيل: فتعاطى الناقة فعقرها، أو فتعاطى السيف.

إِنَّا أُنزَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْبَةِ الْمُحْضَرِّ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ﴿٤٩﴾

الدرع ويقول: سبهزم الجمع. عرف تأويلها⁽³⁾. ﴿ويولون اللببر﴾ أي: الألبار. كما قال:

كلوا في بعض بطنكم تغفوا
وقرى: الألبار.

﴿أدهى﴾ أشد وأقطع، والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه. ﴿وأمر﴾ من الهزيمة والقتل والأسر. وقرى: سنهزم الجمع.

إِنَّ الْجَبْرَيْنِ فِي ضَلَالٍ وَسُورٍ ﴿٧﴾.

﴿في ضلال وسعر﴾ في هلاك ونيران أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة.

بِمَ سُبْحَانَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُورًا مِّن سَعَىٰ ﴿٨﴾.

﴿مس سقر﴾ كقولك: وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب، لأن النار إذا أصابتهم بحرما ولحفتهم بإيلامها فكانتها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم. ونوقوا على إرادة القول. وسقر علم لجهنم من سقرته النار، وصقرته إذا لوحته. قال ذو الرمة:

إذا ذابت الشمس اتقي صقراتها
بأفنان مربع الصريمة معبل
وعدم صرفها للتعريف والتأنيث.

إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرِ ﴿٩﴾.

﴿كل شيء﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر⁽⁴⁾ وقرى: كل شيء بالرفع. والقدر: التقدير. وقرى: بهما. أي: خلقنا كل شيء مقدراً محكماً مرتباً على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدراً مكتوباً في اللوح معلوماً قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥﴾.

﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ إلا كلمة واحدة سريعة التكوين ﴿كلمح بالبصر﴾ أراد قوله: ﴿كن﴾ يعني: أنه إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٥﴾.

حكم التكرير كقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾⁽¹⁾ عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن. وقوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾⁽²⁾ عند كل آية أوردها في سورة. والمرسلات وكذلك تكرير الأنبياء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان منكرة غير منسية في كل أوان.

﴿النذر﴾ موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء لانهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون، أو جمع نذير وهو الإنذار.

كذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَالَّذِينَ آمَنُوا عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿١٢﴾.

﴿بآياتنا كلها﴾ بالآيات التسع. ﴿أخذ عزيز﴾ لا يغالب مقتدر﴾ لا يعجزه شيء.

أَكْثَرُكُمْ نَسْرًا مِّنْ أَوْلِيَائِهِمْ أَمْ لِكُلِّ بَرَكَةٍ فِي الرِّزْقِ ﴿١٣﴾.

﴿أكفاركم﴾ يا أهل مكة ﴿خير من أولئكم﴾ الكفار المعدوبين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون. أي: أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا، أو أقل كفراً وعناداً. يعني: أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم. ﴿أم﴾ انزلت عليكم يا أهل مكة ﴿ببراعة﴾ في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمناً من عذاب الله فأمنتكم بتلك البراعة.

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّقْتَدِرُونَ ﴿١٤﴾.

﴿نحن جميع﴾ جماعة أمرنا مجتمع ﴿منتصر﴾ ممتنع لا نلام ولا نضام. وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال: نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت.

سَبَّحَهُمُ لَلْحَمْدِ وَيُولُونَ الذُّبُرِ ﴿١٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْخِلُوا أَمْرًا ﴿١٦﴾.

﴿سبهزم الجمع﴾ عن عكرمة: لما نزلت هذه الآية قال عمر: أي جمع يهزم؟ فلما رأى رسول الله ﷺ يثب في

= تعالى ليس بقدر، وعلى النصب يصير الكلام: إنا خلقنا كل شيء بقدر، فيفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى، فلما كانت هذه الفائدة لا توازيها الفائدة اللغوية على قراءة الرفع، مع ما في الرفع من نقصان المعنى، ومع ما في هذه القراءة المستقيضة من مجيء المعنى تاماً واضحاً، فخلق الصبح لا جرم أجمعوا على العول عن الرفع إلى النصب، لكن الزمخشري لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات إلى مخلوق الله ومخلوق لغير الله، فيقولون: هذا لله بزمعهم وهذا لنا، فغرت هذه الآية فاه، وقام إجماع القراء حجة عليه، فأخذ يستروح الشفاء وينقل قراءتها بالرفع، فليراجع له ويعرض عليه إعراف السبعة عن هذه الرواية مع أنها هي الأولى في العربية، لولا ما نكرناه أيجوز في حكمه حينئذ الإجماع على خلاف الأولى لفظاً ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا، وهو المخير فيما يحكم به، فإلى الله ترجع الأمور.

(1) سورة الرحمن، الآية: 13.

(2) سورة الطور، الآية: 11.

(3) عبد البرزاق في تفسيره والطبراني في معجمه الأوسط وإسحاق بن راهويه في مسنده زبلي 3/391.

(4) قال أحمد: كان قياس ما مهده النحاة اختيار رفع كل، لكن لم يقرأ بها واحد من السبعة، وإنما كان كذلك؛ لأن الكلام مع الرفع، جملة واحدة ومع النصب جملتان، فالرفع أخصر مع أنه لا يقتضى للنصب ههنا من أحد الأصناف الستة، أعني الأمر والنهي إلى آخرها، ولا أجد هنا مناسب عطف ولا غيره مما يعنونه من محال اختيارهم للنصب، فإذا تبين ذلك فاعلم أنه إنما عدل عن الرفع إجماعاً لسر لطيف يعين اختيار النصب، وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التي هي خلقناه صفة لشيء ورفع قوله: بقدر خبراً عن كل شيء المفيد بالصفة ويحصل الكلام على تقدير: إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر، فانهم ذلك أن مخلوقاً ما يضاف إلى غير الله =

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ ﴿٤﴾.

و ﴿الرحمن﴾ مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترابطة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذلك، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه.

الشمس والقمر بحسبان ﴿٥﴾.

﴿بحسبان﴾ بحساب معلوم وتقدير سوى ﴿يجريان﴾ في بروجهما ومنازلهما وفي تلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب.

والنجم والشجر يسجدان ﴿٦﴾.

﴿والنجم﴾ والثبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول، ﴿والشجر﴾ الذي له ساق. وسجودهما: انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيهاً بالساجد من المكلفين في انقياده.

فإن قلت: كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن؟ قلت: استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره. كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان له.

فإن قلت: كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد؟ قلت: بكت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقرير الذين أنكروا الرحمن وآلاءه، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته. ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبيكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف.

فإن قلت: أي: تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت: إن الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبوليين تناسب من حيث التقابل. وأن السماء والأرض لا تزالان تنكران قرينتين وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر. وقيل: علم القرآن جعله علامة وآية. وعن ابن عباس رضي الله عنه: الإنسان آدم.

﴿أشياعكم﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم.

وكلُّ شئٍ فعَلُوهُ في الرُّبْرِ ﴿٥٧﴾.

﴿في الرُّبْرِ﴾ في نواوين الحفظة.

وكلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ ﴿٥٨﴾.

﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿مستطر﴾ مسطور في اللوح.

إِنَّ اللَّيْلَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٌ ﴿٥٩﴾.

﴿ونهر﴾ وانهار اكتفى باسم الجنس. وقيل: هو السعة والضياء من النهار. وقرئ: بسكون الهاء، ونهر جمع نهر كاسد وأسد.

في مَعْدٍ صِدْقٍ عِنْدَ يَلِيكَ مُنْذِرٍ ﴿٦٠﴾.

﴿في معقد صدق﴾ في مكان مرضي. وقرئ: في مقاعد صنق ﴿عندك مقرر﴾ مقرَّبين عند ملك مبهم أمره في الملك والاعتدال فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته، فأى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها. عن رسول الله ﷺ: من قرأ سورة القمر في كل غيب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة الدرة^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرحمن مكية

عدد الله عز وعلا آياه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدماً من ضروب آياته^(٢) وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقبها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه. لانه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في ابواب الدين أثراً، وهو سنن الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها. وأخر نكر خلق الإنسان عن نكره، ثم اتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علماً بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكان العرض في إنشائه كان مقدماً عليه وسابقاً له. ثم نكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب^(٣) عما في الضمير.

(١) أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي والزليعي 392/3.

(٢) قال أحمد: تغير من هذا الكلام قوله: أن خلق الإنسان كان الغرض فيه، أي: المراد منه أن يحيط علماً بالكتب والوحي، ويعوض بانفراد خلقه أن يدعى إلى ذلك، لا أن يقع ذلك منه، فهذا هو المراد العام، ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علماً بالدين فيفسر له ذلك، ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فيبعد عنه ولم يوفق، والله الدقيق للصواب.

(٣) قال أحمد: وإنما خص الجمل الأول بنكرها تبيكيتاً للإنسان لاجل =

التصاق معانيها به، إلا ترى أنه منكر فيها نطقاً وإضماراً وحفناً ملولاً عليه في الكلام، فهو منطوق به مظهر في قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ ومضمراً في قوله: ﴿علمه البيان﴾ ومدلولاً على حذفه في قوله: ﴿علم القرآن﴾ فإنه المفعول الثاني أما قوله: ﴿الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان﴾ فليس للإنسان فيها نكر البتة، وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى.